SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.1 No.2 2020
eISSN 2716-5515 (132-152)

الإعجازُ البلاغي في قَضيَّةِ الحَذْفِ في سورة الكهف

Rhetorical miracles in the case of deletion in Surat Al-Kahf

محمد إبراهيم

جامعة العلوم الإسلامية ماليزيا ، القيم ، نيجري سمبيلان ، ماليزيا

Mohamed Ibrahim
Universiti Sains Islam Malaysia, Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia
mohamed@usim.edu.my

DOI: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol1.2.10.2020

Received: 24 June 2020; Accepted: 10 September 2020; Published: 30 September 2020

Cite this article (APA): Ibrahim, M. (2020). الإعجازُ البلاغي في قَضيَّةِ الحَذْفِ في سورة الكهف. *SIBAWAYH Arabic Language and Education, 1*(2), 132-152. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol1.2.10.2020

ملخص الدراسة

تعنى هذه الدراسة ببعض معرفة أسرار البلاغة القرآنية. وقد أخضعنا أنفسنا لدراسة البلاغة ومعرفة أسرارها وأفنانها، ونكتها، خاصة ما يكمن في كتاب الله الكريم. ودراسات الدارسين ومباحث الباحثين لم ولن تتوقف عن البحث والتعلم والتعليم من القرآن الكريم، ولم يثبت حتى الآن عند أحد أن دراسة البلاغة والنحو البلاغي من خلال نظم القرآن وأساليبه قد اكتفت. فأسئلة الدارسين – لماذا وكيف وما هو التعليل – عن الأسباب والقضايا البلاغية والنحوية ماتزال تدعوا العلماء إلى البحث والدراسة والاكتشاف، خاصة ما هو مكنون في المصحف الكريم. ومن بين هذه القضايا قضية الحذف والذكر. وهي قضية شائكة حائكة من قضايا علم المعاني. وقد تعرض العلماء قديماً إلى تقدير المحذوف للرجوع بالعبارة إلى المستوى المثالي. وكان ذلك على يد اللغويين والنحاة وغيرهم. وكان القصد من وراء ذلك هو الوصول إلى الدلالة التي تنضوي تحت اللفظة، سواء المحذوفة أو المذكورة، خاصة ما يتعلق بعلاقة الحذف بالذكر. فالسؤال دائماً يطرح نفسه، ما سبب هذا الحذف؟ ولو ذُكِرَتْ اللفظة، فهل الصورة الفنية تبتعد عما يأتي به الحذف؟

إن قضية الحذف والذكر تعتبر من القضايا التي تبحث في خواص تراكيب الكلام، ومعرفة تفاوت المقامات. ففي خوض الباحثين داخل جمال اللغة والأساليب الموجودة في القرآن، انبثقت هذه

الدراسة يحاول منها الدارس أن يظهر جماليات الصورة الفنية والنُّكت البلاغية التي ترسمها قضية الحذف والذكر. ومن أهم المباحث التي سيركز عليها الدارس، وهو الهدف من هذه الدراسة، هو التعرُّف إلى مغزى الحذف وما يسعى إلى تحقيقه، ثم الفائدة من كل موضع حذف يمر به، وذلك من خلال تحليل الشواهد التي يستنبطها من آيات سورة الكهف تحليلاً بلاغياً. وعلى ضوء هذا، اتخذ الدارس منهجية الدراسة الاستقراء والتحليل، والتطبيق على آيات سورة الكهف، لكشف جماليات الحذف والذكر، ونكتها البلاغية، توضيح المعاني البلاغية التي تطرأ من سياق الأسلوب. كما تطرق الدارس إلى فهم الحذف والذكر عند البلاغيين، من خلال تعريفاتهم، ومعرفة شروط وضوابط تقدير الحذف.

أسأل الله العلي القدير أنْ يوفقنا فيما ذهبنا إليه، والله المستعان على ما تصفون.

الكلمات المفتاحية: الحذف الذي هو ضد الذكر، الإعجاز البلاغي، سورة الكهف، النظم القرآني

Abstract

This study is concerned with some knowledge of the secrets of Quranic rhetoric. We subjected ourselves to the study of rhetoric and the knowledge of its secrets, its artists, and its flavor, especially what lies in the Holy Quran. And the studies of the scholars and the researchers' studies did not and will not stop the research, learning and education of the Holy Quran, and it has not been proven until now that anyone has studied the rhetoric and rhetoric grammar through the Qur'an's systems and methods. The students 'questions - why, how, and what is the reasoning - about the rhetorical and grammatical causes and issues still invite the scholars to research, study, and discover, especially what is contained in the Holy Qur'an. Among these issues is the issue of "Al- Hazf wa Al-Zikr". It is a difficult issue of "Ilm Al_ma`ani". In the past, scholars were subjected to the omitted estimation to return the phrase to an ideal level. This was at the hands of linguists, grammarians and others. The intention behind this was to reach the significance that appears under the word, whether deleted or mentioned, especially with regard to the relationship of deletion by mentioning. The question always arises, what is the reason for this deletion? And if the word was mentioned, is the technical picture moving away from the deletion?

The issue of "Al-Hazf wa Al-Zikr" is one of the issues that examine the properties of speech structures and knowledge of the varied denominators. In the researchers 'struggle within the beauty of language and methods found in the Qur'an, this study emerged from which the student tries to show the aesthetics of the artistic image and the rhetorical jokes that the issue of "Al-Hazf wa Al-Zikr" draws. One of the most important topics that the learner will focus on, which is the aim of this study, is to identify the significance of the deletion and what it seeks to achieve, then the benefit from every deletion site that it passes through, through an analysis of the evidence it derives from the verses of Surat Al-Kahf rhetorically. In light of this, the learner took the methodology of the study induction and analysis, and applied to the verses of Surat Al-Kahf, to reveal the aesthetics of "Al-Hazf wa Al-Zikr", and their rhetorical flavor, clarifying the rhetorical meanings that arise from the context of the method. The learner also discussed understanding deletions and mentioning by rhetoric, through their definitions, and knowing the terms and conditions for estimating deletions.

Key words: Al- Hazf that is against Al-zikr, rhetorical miracles, Surah al-Kahf, Quranic systems

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لعلنا نبدأ الحديث هنا عن أسلوب القرآن ونظم كلماته وجمله. فهو أسلوب فريد معجز خاص به. صحيح أنه جاء بأسلوب عربي لم يخرج عن معهود العرب، و لم يخالف قواعدهم النحوية، كما أنه لم يخص لنفسه مفردات وألفاظ لم تكن متداولة في زمانهم، بل جاء بألفاظهم ومفرداتهم وعلى صياغة قواعدهم، ومع ذلك فقد أعجزهم، وبأسلوبه أبهرهم. وسيقت العربية فيه في غاية الكمال والبلاغة. فنجد التعابير القرآنية دقيقة للغاية، في تخيُّر الألفاظ، وتنظيمها، وتعليقها. قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، سورة الإسراء، 88.

إن للقرآن الكريم نمطا خاصا في النظم وتركيب الأساليب. ولا يُخفى على أي دارس أن المتمرِّس بأساليب اللغة وطرائقها يتعجَّب بالأسلوب القرآني الفريد المتميّز. وجاءت هذه الدراسة لتبحث في الأسلوب القرآني، وتدرس وجها من أوجه الإعجاز البياني فيه، ألا وهو الحذف والذكر.

والحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية. فهناك بعض العناصر المكررة في الكلام يجد الناطق نفسه يحذف بعضاً منها قد يمكن للسامع فهمها اعتماداً على القرائن المصاحبة لها. وهذا العمد في الحذف صادر من فهمنا لكثير من العبارات الموجزة التي تعتمد على تقديرنا لتلك الألفاظ غير المنطوقة في لغة الحديث، والتي نستطيع الاستدلال عليها، ونستطيع فهمها اعتماداً على القرائن بحيث لو افترضنا تجرُّدَها عن هذه القرائن لَلَزِمَنا أن نعيد المحذوفات التي فهمنا معانيها من قبل، دون أن نتلفظ بها.

وعلى هذا التوضيح الموجز، نبدأ بسم الله الرحمن الرحيم لنتعرف على قضية الحذف والذكر في عرف البلاغة، ونستكشف أغراضها ونكتها في ظلال الأسلوب القرآني.

الحذف لغة واصطلاحاً

نذكر هنا في بداية القول عن معنى الحذف في عرف اللغة. جاء في لسان العرب. فالحذف لغة: "يقال حذف الشيء يحذفه حذفا، قطعه من طرفه، والحذف القطعة من الثوب، والحذف والرمي عن جانب والضرب عن جانب، وحذفه بالعصا وبالسيف، يحذفه حذفا. وحذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة"[1].

وفي معجم القاموس المحيط نجد الفيروز أبادي يقول: "حذفه، يحذفه، أسقطه، و- من شعره: أخذه. و- بالعصا: رماه بها..."[2]، فالحذف عنده هو الإسقاط.

وجاء في الصحاح معنى الحذف أيضاً هو الإسقاط، "حَذْفُ الشيءِ: إسقاطُه. وحذفه بالعصا: رماه بها، وحَذَفَ رأسَه بالسيف، إذا ضربه فقطع منه قطعةً.."[3]

أما اصطلاحا، فقد تناول علماء اللغة وعلماء البلاغة ظاهرة الحذف بالدراسة، فنعتها الفريق الأول بالحذف أحياناً وبالإضمار أحياناً أخرى، فالنحاة يقولون: "إن الفاعل يضمر ولا يحذف، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر. فكأنهم يريدون بالمضمر ما لا بد منه وبالمحذوف ما قد يستغنى عنه"[4]. والمعنى أن المضمر كأنه الشيء في الجملة الذي نحتاجه ولكن نخفيه فقط، أما المحذوف فهو الشيء في الجملة الذي لا نستطيع الاستغناء عنه أصلاً. والمحذوف لا يظهر ولكن يقدر، أما المضمر فقد يضمر أو يظهر.

أما أهل البلاغة فقد نعتها بالإيجاز. فيقال على الإيجاز الحذف. وهو من أعظم فصول البلاغة، لأنه يدل على مدى تمكن صاحبه من مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وعلى هذا، فإن الحذف أحد أقسام الإيجاز الذي يُعَدُّ فرعاً من فروع علم المعاني. ويقصد بالحذف هو ما يراد به أداء المقصود من الكلام بأقل قدرٍ ممكن من الألفاظ. بينما الذكر فهو الأصل في الكلام، وهو ذكر المسند إليه لتوقُّف فهم الكلام عليه. وهذا يفيدنا أنه إذا أريد إفادة السامع حكماً، فأي لفظ يدل على معنىً فيه فالأصل ذكره، وأي لفظٍ عُلِمَ من الكلام لدلالة باقيه عليه فالأصل حذفه. وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يُعْدَلُ على مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلّا لداعٍ.

---

[1] ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج 16 ، مادة (ح ذ ف) ، دار صادر ، 1990م ، بيروت ، د.ت.

[2] الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان ، ط8، 2005م، ص 799.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار لصحاح**، مكتبة لبنان، 1986م، (ح ذ ف) ص 54.

[4] حمودة، طاهر سليمان، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، الدار الجامعية للطباعة والنشر و التوزيع، الإسكندرية،دط، دت، ص19.

وقد فطن الإمام عبد القاهر الجرجاني هذه القضية منذ البداية، ووصف الحذف بقوله: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"[5].

وبعد أن تطرقنا لمعرفة معنى الحذف في عرف اللغة وعند البلاغيين، يجدر بنا أن نعرف شروط الحذف. فالقضية ليست مجرد أن يخطر ببالك أن تحذف كلمة أو تذكرها كيفما تشاء، بل القضية أكبر من ذلك. فللحذف شروط، إن توفرت ظهرت جماليات البلاغة من هذا الحذف، وإلا أصبح الكلام قبيحاً لا يفهم منه. فما هي شروط الحذف؟

شروط الحذف

قلنا قبل قليل أن في الحذف شروط، إن توفرت حسن الكلام وظهرت فصاحته، وإن لم تتوفر فحتما سيؤدي إلى فقدان الكلام لمعناه، وهذه الشروط هي:

1) **دليل يدل على المحذوف**، فلابد من وجود إشارة على اللفظ المحذوف، وهذه الإشارة تتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية، والتي تعد أهم شروط الحذف، وقد نبَّه ابن جني إلى أهميتها بقوله: "قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[6].

2) **عدم نقض الغرض**. فالغرض من الحذف هو التخفيف والاختصار، لذلك لا يحسن الحذف مع التوكيد، لأن المؤكد يحتاج للاستقطاب، والحذف يريد الاختصار، وقد ذهب ابن جني إلى أنه "يمتنع أن يقال الذي ضربت نفسه زيد، بتأكيد المحذوف، وليس ذلك لأن المحذوف هنا ليس بمنزلة المثبت بل لأمر آخر، وهو أن الحذف هنا إنما الغرض منه التخفيف لطول الاسم، فلو ذهبت تؤكده لنقضت الغرض، ذلك لأن التوكيد والإسهاب ضد التخفيف والإيجاز"[7].

---

[5] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، ص 104.

[6] ابن جني، أبو عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة ، 1956م ، ج1، ص36 .

[7] نفسه ، ص 287.

3) **عدم اللبس.** فينبغي ألاّ يؤدي حذف كلمة من الجملة أو حذف جملة أو أكثر إلى اللبس على المخاطب، لذلك كان اشتراط القرينة المصاحبة للكلام حتى يدرك المخاطب بها العناصر المحذوفة. فإذا انعدمت القرينة أو كانت غير كافية لم يجز الحذف لأنه يؤدي إلى الوقوع في اللبس. لذا استوجب على المتكلِّم أن يبتعد عن اللبس في خطابه بقدر المستطاع. فالنحويون يمنعون مثلاً حذف الموصوف مع بقاء صفته في نحو: مررت بطويل، فالقرينة العقلية لا تكفي لمعرفة الموصوف إذ يمكن أن يقدر بطريق، أو رجل، أو سيف أو غير ذلك.

4) **عدم اختصار المختصر.** فلا يتأتى جمال الحذف وفصاحته من إختصار ما هو مختصر أصلاً. وهذا ما أشار إليه ابن جني برأيه أنّ حذف الحروف لا يمكن في بعض الأحيان، لأنها دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو حُذِفتْ أيضاً فهذا يعني اختصار المختصر وهذا عنده إجحاف بالكلام. ويضيف ابن جني "في بعض الأحيان ينوب الحرف عن جملة أو عن كلمة ، فإذا قلت : ما قام زيد، فقد أغنت (ما) عن النفي، وهي جملة من فعل وفاعل (أنفي)"[8].

وبتوضيحنا لشروط الحذف، نبدأ مستعينين بالله في كشف جماليات المعاني والدلالات التي تطرأ من قضية الحذف، والتعرف إلى أغراضه ونكته. ولعلنا في هذه الدراسة نريد أن ننهج منهجاً مختلفاً قليلاً عمّن سبقنا في توضيح بلاغة الذكر والحذف. فمنهجنا هنا يعتمد على معرفة أغراض الحذف أو الذكر من خلال توضيحات الإمام عبد القاهر في الجملة البسيطة، ومن ثم تحليل معنى سياق الكلام، ثم تحليل المعنى الصادر من قضية الحذف أو الذكر. ولعلنا هنا نبدأ بنكتة حذف المفعول، والتعرف على الغرض من هذا النوع من الحذف.

حذف المفعول

لقد استقرأنا دلائل الإعجاز، ووجدنا أن الإمام عبد القاهر الجرجاني تحدث عن حذف المفعول والذي يقول فيه "أنَّ الحاجة إليه أمس، واللطائف فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والروْنق

[8] ابن جني، **الخصائص** ص 273- 274.

أعجب وأظهر"[9]. فمن هذه الحاجات واللطائف التي يلتمسها المتكلِّم عندما يعني حذف المفعول من كلامه، هي:

أولاً: أنَّه إذا أراد أنْ يثبتَ الفعل للفاعل أو ينفيه عنه على الإطلاق، حينئذٍ يحذف المفعول. "فإذا قلت: ضرب زيد، فأسندْتَ الفعل إلى الفاعل كان غرضك من ذلك أنْ تثبت الضرب فعلاً له، لا أنْ تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الإطلاق. كذلك إذا عدَّيْتَ الفعل إلى المفعول فقلت: ضرب زيد عمراً، كان غرضك أنْ تفيد إلتباس الضرب الواقع من الأوّل بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أنَّ عمل الفعل فيها إنما كان من أجل أنْ يعلم إلتباس المعنى الذي اشتق منه بهما. فعمل الرفع في الفاعل لِيُعْلَم إلتباس الضرب به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول لِيُعْلَم إلتباسه به من جهة وقوعه عليه ، و لم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه"[10]. ويضرب لنا مثلاً في قوله تعالى: ﴿**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر، 9، بمعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له، من غير أنْ يقصد النص على معلوم. وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وأنَّه هو أضحك وأبكى، وأنَّه هو أمات وأحيا**﴾ النجم، 43-44، وقوله تعالى: ﴿**وأنَّه هو أغْنى وأقْنى**﴾، النجم، 48. فكل هذه النماذج " كان القصد فيه أنْ يثبت المعنى في نفسه فعلاً للشيء، وأنْ يُخبِر بأنَّ من شأنه أنْ يكون منه أو لا يكون إلاّ منه أو لا يكون منه، فإنَّ الفعل لا يُعَدّى هناك لأنَّ تعْديته تُنْقصُ الغرض وتُغَيِّر المعنى، ألا ترى أنَّك إذا قلت: هو يعطي الدنانير، كان المعنى على أنَّك قصدتَ أنْ تُعْلِمَ السامع أنَّ الدنانير تخل في عطائه أو أنَّه يُعْطيها خصوصاً دون غيرها، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء في نفسه و لم يكنْ كلامك مع من نَفى أنْ يكون كان منه إعطاء بِوَجْهٍ من الوجوه بل مع من أثْبَتَ له عطاء، إلاّ أنَّه لم يثبت إعطاء الدنانير"[11]. من هنا تضح النكتة والدلالة البلاغية في حذف المفعول، وهو إثبات الفعل للفاعل، أو نفيه مطلقاً. وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْرا**﴾ الكهف، 87. فالشاهد هنا (أمّا من ظَلَم) حيث أنه لم يذكر المفعول، أظلم نفسه بكفره، أم ظلم الناس بطغيانه. وحذف المفعول هنا لغرض إثبات معنى فعل الظلم للفاعل، مما أعطى صورة بلاغية واضحة عن الظلم المراد والذي يستحق عليه

[9] الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، ص 109.

[10] المصدر السابق، ص 110 .

[11] نفسه، ص 111.

العذاب. فأصبح معنى الظلم شاملاً سواء أكان بكفر أو بطغيان، أو ظُلْم على نفسه أو على الآخرين، لكنه يستحق العذاب على ذلك (أما من ظلم). فكان حذف المفعول مؤدياً للغرض، بينما ذكره ينقص الغرض.

ثانياً: أنْ يكون له مفعول مقصود معلوم إلاّ أنَّه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه. وهو ينقسم إلى قسمين:

أ) جلي لا صنعة فيه، مثل: أصْغَيْتُ إليه، أي أصغيْتُ أُذْني إليه. فالمفعول (أُذْني) هنا واضح ومعلوم، ولم يقع اللبس في حذفها، بل أن في حذفها أفصح من ذكرها. وفي قوله تعالى: ﴿**فلمَّا جَاوَزَا قالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبا**﴾ الكهف، 62، إثبات أن النبي موسى عليه السلام وغلامه جاوزا المكان الذي يفترض أن يلتقيا بالعبد الصالح النبي خضر عليه السلام، لكن المفعول في (جاوز) حذف لأن الغرض هنا تنبيه القارئ بأن الشخصان جاوزا، دون تخصيص للشيء الذي جاوزاه، مع العلم بأن المحذوف له دليل يدل عليه من الآية السابقة، ولم يقع اللبس في حذفه لأنه جلي واضح. ولو عدنا إلى الآية التي تسبقها لوجدنا أن المفعول به مذكور، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**.....﴾ الكهف، 61، ذلك لأن ذكر المفعول به هنا – والله أعلم – ملاتبط بنسيان الحوت، وذلك لتحديد المكان الذي عنده نسي يوشع الحوت. فتحتّم ذكر المفعول ليستقيم المعنى، ويتضح أن موسى عليه السلام وغلامه مافتئا يسيران حتى بلغا مجمع بين البحرين، أي وصلا عند مجمع بينهما. بعدها جاءت الآية: ﴿**فلمَّا جَاوَزَا قالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبا**﴾ الكهف، 62، لتثب فعل الفاعل لمجاوزة مجمع بين البحرين، فما كان هناك داعٍ يدعو لذكر المفعول، بل إن حذفه أبلغ.

ب) خفي تدخله الصنعة، فهذا النوع من حذف المفعول يتفَنَّن ويتنوَّع في مقاصده كما وصفه عبد القاهر. "فنوع منه أنْ تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إمّا لجَرْيِ ذِكْرٍ أو دليل حال، إلاّ أنَّك تُنْسيه نفسك وتُخْفيه، وتوهِم أنَّك لم تذكر ذلك الفعل إلاّ لأنْ تُثْبَت نفس معناه من غير أنْ تُعَدِّيه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول"[12]. فنجد في قوله تعالى: ﴿**ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِمْ، إنْ يَقولُونَ إلاّ كَذِبا**﴾ الكهف / 5، فقد حذف المفعول في قوله (إنْ يقولون إلاّ كذبا) أيْ كلاماً كذباً، فمعلوم أنّ مكان المحذوف

[12] المصدر السابق، الصفحة نفسها .

هو الكلام، وقرينته من سياق الآية (كبرت كلمة)، ففي حذف المفعول في هذا الموضع بلاغة ومعنى ثانوي، حيث أن الصفة ثابتة وهي (الكذب)، بينما (كلاما) محذوف للدلالة على أن كل ما يقولونه عن أن لله ولد هراء وافتراء وكذب.

ونوع آخر في تفنُّنِ حذف المفعول "وهو أنْ يكون معك مفعول معلوم مقصودٌ قصده، قد علم أنَّه ليس لفعل الذي ذَكَرْتَ مفعول سواه بدليل الحال أو ما سبق من الكلام إلاّ أنَّك تطرحه وتتناساه وتَدَعُه يلْزم ضمير النفس لغرضٍ غير الذي مضى، وذلك الغرض أنْ تتوَفّر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه"[13]. فهذا النوع من الحذف نجده في قوله تعالى: ﴿**ولّما ورد ماء مَدْيَنَ وَجَدَ عليْهِ أُمَّةً من الناس يَسْقون وَوَجَدَ مِنْ دونِهِمُ امْرأَتَيْنِ تَذُودانِ قال ما خَطْبُكُما، قالَتا لا نَسْقي حتى يَصْدُرَ الرُّعاءُ وَأبونا شَيْخٌ كَبيرٌ، فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلّى إلى الظِّل**﴾ القصص / 23-26، حيث أنَّ هناك أربعة مواضع تمَّ فيها حَذْف المفعول به. فالمعنى هو أنَّه وجد عليه أمّة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما.

ويحلِّل عبد القاهر بلاغة حذف هذه المفعولات ليبيِّن لنا سرَّ الحذف في هذه الآية، فيقول: "أنّه لا يخفى على ذي بصر أنّه ليس في ذلك كله إلاّ أنْ يترك ذكره ويؤتى بالفعل مُطلقاً، وما ذاك إلاّ أنَّ الغرض في أنْ يُعْلِمَ أنَّه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود وأنَّهما قالتا : لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاة، وأنَّه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقي. فأما ما كان المَسْقِيُّ أغناماً أم إبلاً أم غير ذلك فخارج عن الغرض، وموهم خلافه، وذاك أنَّه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما، جاز أنْ يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود كما إنَّك إذا قلت: مالك تمنع أخاك، كنت مُنْكِراً المنع لا مِنْ حيث هو منع بل من حيث هو منع أخٍ... وعليه، تعلم أنَّك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت إلاّ لأنَّ في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأنَّ الغرض لا يصح إلاّ على تركه"[14].

[13] نفسه، ص 112 .

[14] المصدر السابق، ص 114 .

بعض أنواع الحذف

هناك أنواع عديدة للحذف، بيْدَ أننا سنتطرَّق لبعض منها ونستشهد من آيات الذكر الحكيم، ذلك لأنَّ هذا الكتاب العظيم لا يذكر كلمةً أو يحذف كلمةً إلاّ لغرض، لهذا فإننا نجد أنفسنا عاجزين أمام هذه البلاغة القرآنية، لا نستطيع أنْ نضيف ما حُذِف، ولا نَقْدِرُ على حذْفِ ما ذُكِر. فلنذْكُر بعض ما جاء في القرآن عن أنواع الحذف:

1- **حذف الحرف من بعض ألفاظه:** من روائع البيان القرآني المعجز أنه يحذف حرفاً من بعض ألفاظه في موضع ، ويذكره في موضع آخر، وحذف هذا الحرف ليس حذفاً اعتباطياً، كما أن ذكره ليس مصادفة عشوائية إنما ذِكْرُه لحكمة وحذفه لحكمة أيضاً. فنجد في قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف عندما رافق موسى الخضرَ عليهما السلام وأمر الخضرُ موسى عليهما السلام بعدم السؤال عما يفعله حتى يخبره في الوقت المناسب. رأى موسى أن الخضرَ عليهما السلام يقوم بفعل أمورٍ فيها مخالفة لطبيعة العالِمِ الحكيم ، فأخذ ينكر عليه ، لكن الخضر عليه السلام بعد إنكار موسى عليه السلام لفعلته في المرة الثالثة قال له : ﴿**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ الكهف / 78. فجاءت كلمة (تَسْتَطِع) بإثبات التاء. بيْدَ أنَّ الكلمة نفسها جاءت في موضع لاحق (تَسْطِع) بحذف التاء في قوله تعالى : ﴿**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً**﴾ الكهف/ 82، بعد أنْ نبَّأ الخضر موسى عليهما السلام بتأويل أفعاله وأخبره أنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي). وفي حذف الحرف في هذا الموضع بلاغة معنوية جميلة، أوضحت للسامع الفرق بين الحالين، حال النبي موسى قبل معرفته بالحقيقة، ثم حاله عليه السلام بعد معرفتها.

إنَّ سرَّ إثبات التاء في الأولى وحذفها في الثانية يعود إلى مقتضى الحال. فألفاظ القرآن الكريم تستوفي أغراضها في غاية الدقة. ففي الأولى جاءت التاء ثابتة لأنَّ حال موسى عليه السلام استدعى أنْ تأتي الكلمة ثقيلة، حيث إنَّه عليه السلام استثقل تلك الأفعال التي فعلها الخضر عليه السلام، أمّا في الثانية فجاءت خفيفة وذلك بعد أنْ أدرك موسى عليه

السلام الحكمة من فعل تلك الأفعال وأنَّها كانت كلها وحياً من الله سبحانه وتعالى ، فتراخت أعصابه عليه السلام وخفَّ عليه ذلك الثقل[15].

ونموذج آخر مشابه لما تقدَّم نجده في قصة ذي القرنين وبنائه السد على يأجوج ومأجوج وأنه بعد أن بناه عليهم كي يمنع فسادهم أرادوا الخروج فحاولوا تسلق السد فلم يفلحوا ، ثم حاولوا أن ينقبوه ويخربوه فلم يستطيعوا ، قال تعالى : ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً**﴾ الكهف / 97. فكلمة (اسطاعوا) حُذِفَتْ منها التاء الثابتة في (استطاعوا) الثانية وذلك ليتناسب مع السِّياق. يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية "لّما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلاً بما يناسبه، فقال: فما اسطاعوا أنْ يظهروه وما استطاعوا له نقباً"[16]. فتسلُّق السّد أمرٌ يحتاج إلى خفة، فناسب حذف التاء في الاستطاعة عليه. أمّا النقب والتخريب شيء ثقيل يحتاج إلى جهد وقوة ومعدات ثقيلة، فجاءت التاء مثبتة مذكورة ليكون ثقل الكلمة مناسب لثقل الفعل، وهناك خفة الكلمة مناسب لخفة الفعل. وهذا النوع من الحذف لا يتأتّى إلا لغرض بلاغي معنوي يصور مواقف وحركات السيناريو لسياق القصة.

2- **حذف الصفة:** قال تعالى: ﴿**أُلئِكَ الذين كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ، فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً**﴾ الكهف / 105. والشاهد هنا قوله تعالى: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)، أي وزناً نافعاً. فحذفت الصفة (نافعاً) لأنَّ التقييم المراد هنا لابد أنْ يكون تقييماً للوزن النافع. لا للوزن الضار. والإشارة هنا إلى أن كل أعمال هؤلاء الذين كفروا بآيات الله ولقائه لا وزن لها. فلا نقيم لهم، بل نقيم عليهم، ذلك لأن أعمالهم لا وزن نافع لإقامتها. والقرينة الدالة على الحذف واضحة. ففي حذفها بلاغة معنوية ودلالات ثانوية أكثر من ذكرها. وكذلك في قوله تعالى: ﴿**أمّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلونَ في البَحْرِ فَأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها وكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾ الكهف/79، "أيْ يأخُذ كل سفينة صالحة، بدليل قوله: فأردت أن أعيبها ..، والحذف هنا يوحي بجبروت هذا الملك وإفساده وشدة ظلمه، فغصبه ليس قاصراً على الصالح من

[15] تفسير ابن كثير، ص 432، بتصرُّف .

[16] نفسه، ص 463 .

السفن، بل تجاوزه إلى غير الصالح، فغايته هي الغصب والاستيلاء، فالحذف في الآية يصوِّر مدى طغيان الملك وشدة ظلمه"[17]. ولو ذُكِرَتْ الصفة وقال: (يأخذ كل سفينة صالحة) لاقتصر طغيان الملك على استيلائه السفن الصالحة فحسب، ولم تظهر قمة الطغيان الذي بسببه خرق النبي خضر السفينة التي ركبها. أما في حذف الصفة جاءت الصورة موائمة لفعل النبي خضر.

3- حذف الفاعل: قال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الكتاب وترى المجرمين مُشْفِقين مما فيه، ويَقُولُون يا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ كَبِيرَةً ولا صَغِيرَةً إِلّا أَحْصَاهَا..**﴾ الكهف /49. والشاهد هنا قوله تعالى: (ووضع الكتاب)، فقد حُذِف الفاعل وبُنِيَ الفعل للمجهول تعظيماً للفاعل، فالذي قضاه عظيم القدر. ولو تدبرنا الصورة الفنية من قضية الحذف لأدركنا عظمة هذه الآية وما تكمن فيها من هيبة الأمر العظيم عندما جيءَ بهذا الكتاب. فالقضية هنا ليست قضية الكتاب نفسه، بل قضية مجيئ الكتاب، من الذي جاء به؟ فهؤلاء المجرمون لم يجدوا مفرا مما وجدوه في هذا الكتاب الذي دوَّن كل أعمالهم، صغيرة كانت أم كبيرة. ونحن نعلم أن المجرم يمتلك الكثير من الحيَلِ والمكر لينفذ من جريمته، لكنه في هذا الموقف نجده قد أشفق على نفسه لما وجد في هذا الكتاب ما لا يستطيع أن ينفذ بنفسه من كل أعماله. فمن دوَّن كل هذا، وجاء به ووضعه أمامه؟

كما يُحْذَف الفاعل إذا كان معلوماً عنه، فنجد في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يقولُ نادوا شُرَكائيَ الذين زَعَمْتُمْ** ... ﴾ الكهف / 52، أنَّ الفاعل محذوف لمعلوميتِّه سبحانه وتعالى أنَّه هو الذي يسألهم عند يوم المحشر: هيا نادوا ما أشركتموهم معي في عبادتكم. والبلاغة في هذه الآية تعود إلى نظم سياق الآيات السابقة لهذه الآية. ولنتتبع سياق الآيات. قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ الكهف/ 50-51، فلو تتبعنا قوله تعالى: (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني)، ثم قوله تعالى: (ما أشهدتهم..)، ثم قوله تعالى: (وما كنت متخذ المضلين عضدا)

[17] فيود، بسيوني عبد الفتاح، **علم المعاني**، ص 400 .

لوجدنا أن تلك الضمائر تعني أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن نفسه في (.. من دوني، ما أشهدتهم، ما كنت متخذ)، وعليه جاءت الآية التالية: (نادوا شركائي) ضمير المتكلم في شركاء تعقيب لقوله تعالى: (ويوم يقول الله سبحانه وتعالى)، فحذف فاعل القول لمعلوميته.

كما يحذف الفاعل لمناسبة ما تقدَّم من السِّياق، ففي قوله تعالى: ﴿**فلمّا جاوَزا قال لفَتَاهُ آتِنا غَداءَنا لقدْ لقينا مِنْ سَفرِنا هذا نَصَبا**﴾ الكهف / 62، لم تَذْكر الآية (قال موسى لفتاه) فقد حَذَفَ الفاعل وهو (موسى) لأنَّ السياق قد تقدَّم بذكره في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿**وإذْ قال موسى لفتاه لا أبْرَحُ حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أوْ أمْضِيَ حُقُبا**﴾ الكهف / 60. ومثال آخر على النمط نفسه في قوله تعالى: ﴿**فانطلقا حتى إذا ركِبا في السفينة خَرَقَها، قال أخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها** .. ﴾ الكهف / 71، فالأفعال (خرقها، قال) لم تظهر فواعلها، لكننا أدْرَكْناها من الآيات التي تقَدَّمت عن هذه الآية. فالذي قام بخرق السفينة هو الخضر عليه السلام، والمساءلة كانت من موسى عليه السلام. وفي حذف الفاعل إيجاز وبلاغة دون شك.

وكل ما ذكرناه آنفا من نماذج، نجد قرائن الفاعل المحذوف واضحة تدل على وجود هذا الحذف، ولم يقع اللبس على المعنى بعد حذفه، بل نجد أن في حذفه إيجاز في نطق الكلام مع توافر المعاني المراد إيصالها، وتصوير المعاني البلاغية الثانوية في ثناياها.

4- حذف الجار والمجرور: وذلك في قوله تعالى: ﴿**قال ألَمْ أقُلْ إنَّك لَنْ تَستَطيعَ مَعِيَ صَبْرا**﴾ الكهف / 72، فقد حذف الجار والمجرور (لك) إذ المعنى، ألم أقل لك إنَّك لن تستطيع معي صبرا، وذلك لأنَّ ذكر الجار والمجرور (لك) جاء ذكره فيما بعد في الآية 75. أضف إلى هذا، فإنَّ سرَّ حذف الجار والمجرور في الآية ثم ذِكْرُها في آية أخرى يعود إلى أنَّ الخضر عليه السلام قد حذّر موسى عليه السلام في بداية التلاق بأنَّه لن يستطيع الصبر على ما سيجده، فجاء التذكار عقب أوّل حدث صار بينهما، فحَذَفَ الجار والمجرور لِيُبَسِّط عذره في الإنكار، بينما ذكر الجار والمجرور في الآية 75، للتنبيه على ما كان في بداية اللقاء، وأنَّ هذا الإنكار من موسى عليه السلام هو المرة الثانية، فاستوجب

ذكر الجار والمجرور. يقول الزمخشري عن معنى زيادة (لك) أنَّه "زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلَّة الصبر عند الكرة الثانية"[18].

كما حذف الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**.. ﴾ الكهف / 20، وهو بالحجارة، أي يرجموكم بالحجارة ويعذبونكم بأنواع العذاب. وحذف الجار والمجرور أبلغ من ذكره، لأن القضية هنا ليست قضية بماذا سيكون الرجم، لكن القضية هنا قضية إيمان أصحاب الكهف، فهؤلاء الفتية قد ربط الله على قلوبهم فقاموا وقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إله. فظهورهم على الملأ يحتمل أن يُعذّبوا ليرتدوا عما كانوا عليه.

وصورة أخرى لحذف الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿**وقل الحق من ربِّكُمْ، فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ** ..﴾ الكهف / 29، حذف الجار المجرور، فقد ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية "أنَّ الحقَّ جاء وزاحت العلل فلم يبْقَ إلاّ اختياركم لأنْفسكم ما شئتم من الأخْذِ في طريق النجاة أو طريق الهلاك"[19]، أي فمن شاء فليؤمن بالحق الذي جاء من ربكم، ومن شاء فليكفر به، فحذف الجار والمجرور في هذه الآية.

5- حذف جواب الشرط: في قوله تعالى: ﴿**ولولا إذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلاّ باللهِ، إنْ تَرَنِ أنا أقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَدا**﴾ الكهف / 39. فقد حذف جواب الشرط (لولا) بتقديره في هذا الموضع (حمدت الله على ما أنعم به عليك).

ويكثر حذف جواب (لو ، ولولا) في القرآن. "والسر في حذفه أنَّها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارا جملة واحدة، أوْجب ذلك لها فضلاً وطولا، فخفَّف بالحذف خصوصاً مع الدلالة على ذلك"[20]. كما أنَّ لحذف جواب الشرط موقع للتفخيم والتعظيم. ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، فيحذف لقصد المبالغة، فعدم التصريح بالجواب يجعل السامع يتخيَّل كل ما يمكن أنْ يكون، بينما التصريح به يوقف ذهن السامع عند المصرَّح به، فلا يكون له ذلك الموقع. فمن الآية السابقة يستطيع السامع أنْ يذهب كل

---

[18] الزمخشري، **الكشّاف**، ص 494 .

[19] نفسه، ص482 .

[20] عامر، فتحي أحمد، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، ص 196.

مذهب ليقدِّر ما سيكون الجواب إذا قال ماشاء الله لا قوة إلاّ بالله ، فيمكن أن يكون كما ذكرنا ، ويمكن أن يكون (لزاد الله في سعتك ورزقك) أو (لبارك الله في جنتك) إلخ .. وهذا لا يتأتّى إلاّ بحذف الجواب وعدم التصريح به، بشرط أن يستوفي شروط الحذف في تقدير القرينة، وأنّ هذا التقدير لا يحسن إلاّ بعد العلم بالسياق.

6 – **حذف المضاف:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ القُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَموا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا**﴾ الكهف / 59، أي أهل القرى، فقد حذف المضاف في هذا الموضع، وهذا الحذْف يشير إلى مدى الظلم والكفر الذي وصل إليها أهل هذه القرى. ونجد الصورة التي رسمها حذف المضاف (أهل) أن القرية بكاملها، أناسها وبيوتها وأشجارها وكل ما فيها قد حلَّ عليها الهلاك والعذاب. وهي تختلف عن الصورة التي لو قلنا (أهل القرى)، حيث أن هذه الأخيرة ترسم صورة الهلاك على أناس متواجدون في القرية، وبالتالي لم تصل إلى تلك الدرجة التي رسمتها صورة الحذف من شدة ظلم وكفر أهل تلك القرى لدرجة أنّ إنْزال العذاب عليهم هو السبيل الأخير لتطهير الأرض منهم.

7 – **حذف الصِّفة:** كما في قوله تعالى: ﴿**فانْطَلَقا حتى إذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ، قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرا**﴾ الكهف / 74، أيْ نفساً زكية بغير نفسٍ زكيةٍ، فحذفتْ الصفة (زكيةٍ) من موضعها. وجمال الحذف في هذا الموضع هو إيجاز الكلام. فمفهومٌ لدى القارئ والسامع أن المقصود من النفس هنا هي النفس الزكية، فلما الإطالة والذكر في أمر مفهوم؟

وهناك أنواع كثيرة للحذف غير الذي أسردناها آنفا، بَيْدَ أننا لم نغرض إلى ذكر هذه الأنواع تعداداً بعين الاعتبار، لكننا عنينا بتبيان خطورة هذه القضية في نظم الكلام. فعندما تُحْذَف كلمة أو جملة أو حتى حرفاً واحد من السياق فإنَّ هذا الحذف يشير إلى معنى ثانٍ لا يأتي إلاّ به. "فهو باب لطيف المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجد له أنْطق ما تكون إذا لك تنْطِقْ، وأتم ما يكون بياناً إذا لم تَبِنْ"[21] .

[21] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، ص 104.

كما أنّ في ذِكْرِ الكلمة سماته ومواقعه التي لا يتأتّى بيان السياق وفصاحته إلاّ بذكره. وقد مرَّتْ بنا هذه القضية عند تحليلنا لحذف الجار والمجرور في آية 72 من سورة الكهف قوله تعالى (قال ألَمْ أقُلْ إنَّك ..)، ثمَّ استوجب ذكره في آية 75 (قال ألَمْ أقُلْ **لَكَ** إنَّك ..). والقضية نفسها مع ذكر الحرف في ألفاظه وحذفه منها. وهي في مجملها تحمل معاني خفية ساقها النظم لمقتضى الحال الذي هو عليه .

وختاماً لحديثنا عن هذا المبحث، نودُّ أنْ نسوق شاهداً رائعاً من كتاب الله لما نحن بصدده وهو حديثنا عن قضية الحَذْفِ والذِّكْر. ففي قوله تعالى: ﴿**فإنَّهم عدوٌّ لي إلاّ ربَّ العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يُطْعِمُني ويَسْقين * وإذا مرضْتُ فهو يَشْفين * والذي يُميتُني ثمَّ يُحْيين**﴾ الشعراء / 77- 81، نجد الضمير (هو) يُذْكَرُ تارة، ويُحْذَفُ تارة أخرى. فلم تأتِ الآيات تَذْكُرُ الضمير (هو) في كل مواضعها، كما أنَّها لم تحذفْهُ من كل مواضعها، بل جاءت في المكان المناسب بحسب مقتضى الحال. فالآية الأولى لم يقلْ إبراهيم عليه السلام: (هو) الذي خلقني فهو يهدين.. بل قال: الذي خلقني فهو يهْدين.. ذلك "لأن الخلق ليس محتاجاً إلى تأكيد، فليس هناك إنسانٌ مَهْما كَبُرَ وعَظُمَ وحَكَمَ الدنيا كلها يستطيع أنْ يدَّعي إنَّه يخْلُقُ إنساناً، وإلاّ فسنطْلب منه أنْ يفعل ذلك.. ولذلك فإنَّه غير محتاج إلى تأكيد. أمّا الهداية فهناك مئات الألوف مما يدَّعون أنَّهم يهدون الناس... وهكذا نرى أنَّ الضمير هنا كان لابدَّ من وضعه، وأنَّ الضمير في الجزء الأول من الآية لم يكن هناك حاجة للتذكر به. فالخلْق صفة من صفات الله لا ينازعه فيها أحد، فهو ليس محتاجاً إلى تأكيد، وإنَّما الهدى فيه ادعاءات من الناس وهناك تأتي كلمة (هو) ضرورة"[22].

الخاتمة

وبعد،

فقد خضنا سوياً للتعرف إلى الأسرار البلاغية من وراء ظاهرة الحذف. ورأينا من خلال التطبيق والتحليل أن قضية الحذف تحمل في طياتها صور بلاغية في ثناياها معاني ثانوية وصور فنية. فلا

[22] حسين، نصر الدين إبراهيم أحمد، **وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي في القرآن الكريم**، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2002م، ص 132- 133 .

تحذف كلمة في موضعٍ ما، إلاّ وفيها غرض بلاغي مُحدَّد معيَّن، وصورة فنية تصحب هذا الغرض. فإذا طابق الحذف شروطه، صحَّ الكلام، وزاد السياق فصاحة في إيجاز من القول، مع تصوير جمالي في المعنى. أما إن لم يطابق شروط الحذف، فليس للحذف مكان في السياق، والذكر أفصح وأوضح في التعبير عن المعنى المراد. وهذا كله يدل على أن الحذف – على وجه الخصوص – ظاهرة لغوية، لكنها تتميز في اللغة العربية، ذلك لأن العرب يميلون إلى الحذف للخفة في الكلام. بيْد أن هذه الظاهرة لابد لها من قرينة أو أكثر تدل على المحذوف.

لقد بيّن الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز أن ظاهرة الحذف تهتم بتبيان مقاصد هذا الحذف وأغراضه. فالقضية ليست مجرد إسقاط حرف أو كلمة أو جملة بهدف الاختصار والإيجاز، بل القضية تكمن في النواحي الجمالية، وحسن التركيب التي تأتي من هذا الحذف. فللذكر بلاغته الذي يقتضي المعنى وجوده، وللحذف بلاغته الذي يتحتم من وجوده.

إن الحذف في القرآن قضية لا تقتصر على تحقيق الجمال الظاهر للنص فحسب، بل لها أغراض تسبر في أغوار النفس، وتنبيه الحس. فمن خلال التحليلات واستخراج الصور الفنية في دراستنا هذه، رأينا أن الآية القرآنية عندما تحذف حرفاً، فإنها تحذفها لغرض بلاغي يحمل في طياته معنى ثانوي يفهم من سياق اللآيات. والحال نفسه عندما قمنا بتحليل آية حذفت منها كلمة، هناك آية حذفت منها شبه جملة. فكانت كلها تعطي صورة فنية بلاغية. وكنا في بعض تطبيقاتنا نفترض ذكر المحذوف لنوضح الفرق بين السياقين – الحذف والذكر – وبالتالي نكشف غطاء الصور الفنية والجوانب البلاغية في الآية المعنية. كما حاولنا رسم تلك الصورة لننقل السياق الكلامي إلى جوانب حسية ومعنوية على الصعيدين.

وقد قمنا بكشف عدد من أنواع الحذف في سورة الكهف، من حرف إلى كلمة، إلى شبه جملة. ومن الكلمة ما فيها الفعل والاسم. وقمنا بتحليلها تحليلاً بلاغيا، أظهرنا ما كانت ترسمها الآيات من صور بلاغية فنية. وكلها كانت تعطي غرضاً بلاغياً ومعنى ثانويا، دون أن يخلَّ بالمعنى العام المراد إيصاله. ولقد كان اختلاف تقدير العلماء والدارسين في المحذوف لدليل واضح على أن قضية الحذف والذكر تدخل في نطاق الاجتهاد، وهو بدوره مرتبط بأسرار الإعجاز القرآني البياني.

نسأل الله العلي القدير أن قد وفقنا في هذه الدراسة المتواضعة، وأن نفيد بها كل من يقرأها. كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا خدماً للعلم وطلابه، إنه السميع المجيب.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن جني ، أبو عثمان ، **الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، 1956م، ج1.
2. ابن منظور ، **لسان العرب**، ج 16 ، مادة (ح ذ ف)، دار صادر، 1990م ، بيروت، د.ت.
3. أنيس، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، القاهرة: ط2 1972م.
4. التهانوي، محمد علي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية 1998م.
5. الجرجاني، عبد القاهر، 1960م، **دلائل الإعجاز**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط 6).
6. الجرجاني، عبد القاهر، 1979م، **أسرار البلاغة**، شرح وتعليق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، (مكتبة القاهرة، ط 3، ج 2).
7. حسين، نصرالدين ابراهيم أحمد، ط عام 2002م، **وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم**، (كوالالمبور: نشر من طرف مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا).
8. حفني، محمد شرف، **الصور البديعية بين النظرية والتطبيق**، ج2 .
9. الدمشقي، ابن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط 1، المجلد الثالث) .
10. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار لصحاح**، مكتبة لبنان، 1986م.

11. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، **الكشّاف** عن حقائق التتريه وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، (بيروت : دار المعرفة) .
12. عامر، فتحي أحمد، ط عام 1975م، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، (القاهرة: طبعة المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، د.ط) .
13. عامر، فتحي أحمد، **المعاني الثانية في الأسلوب القرآني**، (مصر: منشأة المعارف).
14. عامر، فتحي أحمد، **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ**، (مصر: منشأة المعارف) .
15. عكاوي، أنعام فوال، **المعجم المفصل في علوم البلاغة**، مراجعة أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2 1992م.
16. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان ، ط8، 2005م.
17. فيود، بسيوني عبد الفتاح، عام 2004م ، **علم المعاني**، (القاهرة: المختار لنشر والتوزيع، ط2).

SOURCES AND REFERENCES

The Holy Quran

Ibn Jani, Abu Othman, Properties, Realization of Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Books, Cairo, 1956, C1.
Ibn Mansoor, Tongue of the Arabs, C16, Article (H.F.), Dar Sader, 1990, Beirut, D.T. Anis, Ibrahim et al., The Intermediate Dictionary, Cairo: i2 1972.
Al-Tahanoi, Muhammad Ali Al-Hanafi, Art Scouts, Beirut, I1, Scientific Books House, 1998.
Al-Jarjani, Abdul Qahir, 1960, Evidence of Miracles, Investigation of Mr. Mohammed Rashid Reda (Library and Printing Press of Muhammad Ali Sobeih & Sons, i6).
Al-Jarjani, Abdel Qahir, 1979, Secrets of Eloquence, Explanation and Commentary by Dr. Mohamed Abdel Moneim Khafaji (Cairo Library, i3, c2).
Hussein, Nasreddine Ibrahim Ahmed, i 2002, the faces of miracles in the stylistic and cognitive discourse of the Qur'an, (Kuala Lumpur: published by the International Islamic University Press in Malaysia).
Hafni, Mohammed Sharaf, the exquisite images between theory and practice, C2.
Al-Damascene, son of Kabir Al-Qurashi, interpretation of the Great Qur'an (Riyadh: Dar es Salaam Library, i1, Volume 3).
Al-Razi, Mohammed bin Abi Bakr, Mukhtar La Sahah, Library of Lebanon, 1986.
Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud, scout on the facts of impartiality and the eyes of the sayings in the faces of the ta'wil, C2, (Beirut: Dar al-Knowledge).
Amer, Fathi Ahmed, i, 1975, the idea of systems between the faces of miracles in the Holy Quran, (Cairo: Edition of the Supreme Council for Islamic Affairs, D.I.).
Amer, Fathi Ahmed, second meanings in the Qur'anic style (Egypt: Knowledge Facility).
Amer, Fathi Ahmed, The Eloquence of the Qur'an between Art and History, (Egypt: Knowledge Facility).

Akkawi, Anam Foal, The Detailed Dictionary in The Sciences of Rhetoric, Review by Ahmed Shamseddine' Beirut, Scientific Books House, i2 1992.
Al-Fayrouz Abadi, Majduddin Mohammed bin Yaacoub, Surrounding Dictionary, Investigation of the Heritage Investigation Office of the Al-Resala Foundation, supervised by Mohamed Naeem Al-Araksussi, Al-Resala Foundation, Lebanon, i8, 2005.
In 2004, The Science of Meanings (Cairo: The Chosen One for Publishing and Distribution, i2).